المبحث الخامس:

خصائص وبيئة الإبداع.

أولاً: خصائص الإبداع.

إن خصائص الإبداع كما أرى، هي مكونات عقلية في الإنسان ولهذا فإنها لابد متوفرة في كل كائن حي عاقل، هذه الخصائص التي قد تكون في البعض من البشر ((بينة متحركة نشطة)) وقد تكون لدى البعض الآخر ((كامنة ولكنها متوثبة)) لأن العقل الذي حبانا به الله، يختزن قدرات ظاهرة وكامنة ولامتناهية، "أنه جزء من خُلق قويم".

لذلك فإن إذكاء هذه القدرات العقلية التي تنبعث في كل حركة و سكنة، لتنتج العمل المفيد النافع والمبتكر، تحتاج الى المحفز والحافز الذي يستلزمها ...الخ (بمعنى أنها تستوجب من يملك خصائص وسمات المبتكر القادر على تحريكها وتوظيفها، وفق تفاعلات (عقلية وذهنية تتفاعل بموجب الشيفرة التي خُص بها العقل البشري، والذي يحتاج إلى استفزازه وقراءة البوصلة التي يُنتجها في كل حين وبحد كل حين، لأن هذه الشيفرة تغير وتتغير كما أُقدر، بسبب ما تواجهه من مؤثرات وتأثيرات وما تعكسه تفاعلاتها الكيميائية الذهنية والعقلية، التي تتكامل في صياغة الفكر والفعل و الإنتاج المنشود.

إن الذي يملك مثل هذه الشيفرة وهذه القدرات هو "الإنسان" الذي يرسم خطوطها العريضة والدقيقة بمختلف مستوياتها وتعقيداتها الظاهرة والمستترة، هذه الشيفرة غير المرئية ((حقا إنها نتاج عقلي وذهني)) لأنها تعمل في إطاره ووفق مشيئته وحسب الهدف الذي ينشده صاحبها "أي الإنسان نفسه".

obeikandi.com

إن هذه القدرات والمكونات بمجملها لابد وأن تشكل بحد ذاتها مسائل مطروحة على العقل البشري كونها تعمل وتوظف في الإطار الذي يمليه صاحب هذا العقل الذي يرسم ويقود " أي الإنسان" .

لأن تلك القدرات والمكونات تتصل عضوياً وسلوكيا وواقعيا بالكينونة الإنسانية ومستلزماتها مثل: البنى النفسية والبدنية وقدرات التفكير الذهنية، ومستويات الذكاء والتحليل، وخصوبة التصور والخيال، وفطرة القول، والفعل وردة الفعل المستندة إلى خصائص متباينة في الكائن الحي العاقل، والتي يستطيع المهتم بالإبداع أن يلمسها بداية وأن يصنفها في بوتقة الموهبة الملموسة.

هذه القدرات التي تواجه مكونات الواقع الظاهرية والباطنية، وحاجات الكائنات الحية المتجددة والطموح النامي في الإنسان لكشف المزيد من أسرار الطبيعة الظاهرة والباطنة {{ إنها متواليات نستطيع أن نعدها دون أن ننتهي}} .

وجهة نظر حول العقل.

إن العقل البشري أثبت بأنه يعطيك بالقدر الذي تعطيه ، ويستجيب لك بالقدر الذي تملك من قدرات تحفزه وتزجه في مجال الخلق والإبداع الهادف إلى التطور في كل مجال من مجالات الحياة المعاشة، إن هذه القدرات العقلية قد لا نستطيع قياسها بمقياس ملموس، إلا من خلال هذا الإبداع الذي يتجسد أمامنا نتيجة ملموسة، لأن هذا المنهل الذي نسميه "العقل" يختزن طاقات لا نستطيع الوصول إلى قمتها وبالتالي لا يمكننا التوصل إلى قياسها، لأننا كلما وظفنا جزءا من طاقاتنا العقلية نلمس بأن آفاقا جديدة قد أُتيحت وطاقات وليدة قد خلقت داخلها، وكأنها نمت بتفاعل غير مرئي نلمسه بالمبتكر الجديد الذي يصل إليه المبدع .

لذلك فإن الإنسان الفرد مهما كان نبوغه، فلن يستطيع أن يصل إلى استخدام الطاقة الكلية للعقل نتيجة التجدد الذي يتسم به العقل البشري، إلا أننا قد نستطيع ذلك بحالة واحدة، فيما لو استطعنا أن نخلق "مكوِّن عقلي كلي واحد" يحتوي

obeikandl.com

كامل المقومات والطاقات الكلية لأفراد الجنس البشري ، ونضعها في مُكَوِّن عقلي واحد ، ونجعله في مواجهة التغيير والإبداع ، فحينها قد نكون وظفنا كامل الطاقات البشرية في مسيرة الكينونة، وهذا بالطبع من مستحيل... المستحيلات.

من هنا ندرك بأن خصائص العقل في كل كائن حي عاقل، خصائص متوفرة ولكنها تستلزم البيئة المناسبة والحقيقية التي تنميها وترعاها وتُحييها، لتُطلقها إلى الوجود فنلمسها إن كانت متحركة نشطة، ونوقظها لتتحرك إن كانت كامنة أو متوثبة.

إن هذا الإيقاظ الهادف إلى توفير البيئة، ينعش الفعالية الكيميائية للعقل في أداء قدراته الخلاقة، مما يجعله أكثر حيوية وقدرة على التأثير والتأثر في العطاء والخلق لهذا فإن المطلوب بل المفروض توفره في حال ولوجنا سبيل الإبداع الخلاق:

أولاً - أن نوظف طاقاتنا البشرية توظيفاً مدروساً وإستراتيجياً.

ثانياً - أن نوفر بيئة الإبداع اللازمة، تلك البيئة التي لا يمكن تكوينها إلا إذا بحثنا عن العلماء فينا، هؤلاء العلماء الذين لازالوا يبرزون بيننا صدفة، بفعل قدراتهم الذاتية والذاتية فقط حتى الآن، نتيجة العدمية التي تحيط بهم، ونتيجة غياب التخطيط الإستراتيجي الذي يرعى من هم قادرين على الخلق والإبداع، ونجدهم يتوضعون - بغير رغبتهم - بعيداً عن الرعاية والأداء العلمي المنظم.

ثالثاً - أن نوقف عملية الضياع الإبداعي والاجتماعي، وأن نخلق المؤسسات المعنية والكفيلة والمتكفلة في رعاية مبدعنا، الذي لازال تائهاً يبحث بنفسه عن نفسه وبيئته التي يتنفس من خلالها.

لذلك فإننا لازلنا ننزف علما وعلماء، سواء كنا نعرفهم أو لا نعرفهم، حيث نتعرف عليهم نجوما يضيئون في سماء وأرض غير أرضهم، لهذا فإن اهتماماتنا بالإبداع لازالت قاصرة إلى حد بعيد، وتقتصر على المبادرات الذاتية الخجولة لتمس بعض طلائع المبدعين من بعيد وبصورة موسمية، بل أكثر من ذلك فلا زال المثقف والمسؤول والمتعلم فينا، يعيش حالة مرضية مستسلمة، تتمثل في أننا نقف بأكثريتنا الساحقة مبهورين (نقلد ونؤيد، و ننقل غير مجتهدين ومبدعين).

والأمر العجيب الذي نعلمه ونقبله وننقده، هو أننا نغط في سبات عميق، دون أن نستيقظ استيقاظا علمياً حقيقياً، يربط قولنا وكتاباتنا بأفعالنا وممارساتنا، وذلك من خلال خلق بيئة الإبداع المنشود التي أشرنا إليها، والتي لن ولم تأت إلا ضمن خطة متكاملة تهدف إلى وقف هذا الانهيار الكبير والبحث عن الإبداع فينا، وبناء الصرح الحصين الذي يسد معبر الفساد والتخلف والنزف إلى صفوف شعبنا وعقولنا، هذا الانهيار والإهمال العلمي الخطير، يتصل بإهمال المضيء فينا وبالمعطي بيننا، يتصل بالمبدع منا ذاك الذي يقدر على الخلق ويسهم في نقل مجتمعه من الواقع المتخلف المرير إلى مواقع التقدم والبناء الحضاري الحقيقي الملموس.

إن مقومات البناء و التأسيس، يجب أن تبدأ بعد أن بلغ السيل الزبى والأمة في حالة ضياع وهي تملك مقدرات الوجود والفعل والتأثير لقد حان الوقت لبناء بيئة الإبداع وروادها، وبناء هيكلية مؤسساتها الكاملة الشاملة، لكي نعيد لشخصيتنا صحوتها ونعرف هل نحن لازلنا نحن الذي حملنا الأمانة ؟ أم نحن لسنا هؤلاء؟، وهذا يبدأ في الكشف عن (المبدعين -والأذكياء - والموهوبين بيننا) وذلك بدءاً من الأسرة وحتى نهاية مطاف هيكلية المؤسسات المجتمعية والعلمية في وطننا "الكبير والصغير" لأننا في عالم يحترم العلماء والأقوياء .

لذا فإن توفر البيئة الإبداعية ضرورة لازمة لكي يُكشف النبوغ وتنتعش العقول ويُذكى التفاعل الخلاق الذي يحوزها، بحيث يحيا في بيئتها حينما توجه لتؤدي دورها والكشف عن قدراتها، ولكن قبل التفصيل في هذا المجال يجب أن نشير إلى مسائل بديهية تتمثل في أن الإبداع لا يحيا في بيئة واحدة، بل هناك بيئات بعدد مجالات وساحات العمل والحياة، لذلك أجد من المفيد أن نعدد هذه البيئات.

ثانيا: طبائع مناخ بيئة الإبداع .

تتنوع بيئة الإبداع بتنوع الطبيعة الداخلية والخارجية المحيطة بالمبد ع نفسه ، وبالبيئة المحيطة بعقله كحاضن للإبداع، لهذا فإننا نميز بين بيئة وبيئة في الإبداع وهذا

obeikandi.com

التميز تعكسه الطبيعة و البيئة المحيطة، حيث تختلف بيئة المثقف عن بيئة غير المثقف (مما ينتج عنه اختلاف ومضات الإرسال والاستقبال، و بوتقة التفاعل بين الداخل والخارج.

من هنا ندرك بأن بيئة ومناخ الإبداع، تسهم في تكوينه جغرافية المكان للكائن الحي العاقل، سواء كان في الريف أو المدينة، في الصحراء أو فوق الجبال في السهل أو على شواطئ البحار والأنهار وسواها الخ...

(لذلك فإن الإبداع في المدينة يحمل سماتها وكذل الأمر في الريف، فقد تشهد حالات الإبداع الصناعية والفنية والتقنية والفضائية في المدينة أكثر مما هي عليه في القرية،إذ نشهد الإبداعات في مجال الزراعة، وإن كان ذلك لم يغيب الإبداعات الأخرى، في مجالات التجارة وفي العلوم الكيميائية - والفيزيائية والحيوية: في الهندسة والطب، والصيدلة، والفلسفة في المجتمع والتربية - والتعليم - وتربية الطفل: في الفن والغناء والتمثيل، والتقنيات.

من خلال ذلك، أصبح لنا من السهولة في المجال، أن نستنتج ماهية البيئة التي تحيط بالإبداع، أو البيئة التي نعوّل عليها ومعرفة خصائصها، والعوامل المحيطة والمؤثرة بتلك البيئة التي تحيط بالإبداع؟؟ و بتلك البيئة التي نحن بصدد دراستها وتحليل:

إن البيئة التي تحيط بالإبداع والحاضنة له و اللصيقة به، هي البيئة المغذية والمنمّية والمُسهمة (في جعل عناصره يقظة معطاءة) لأن إيقاظ هذه العناصر بكل خصائصها شكلاً ومضموناً -كما أرى في هذه الحالة - متجسدة في العقل نفسه، هذا العضو النبيل في الإنسان يمثل قمة الهرم بين الأعضاء النبيلة، فهو المتحكم بكل حركة وسكنة، وبكل ومضة من ومضات حياتنا البشرية، وبهذا فهو يملك ناصية قراراتنا من إقدام وإحجام ومن فعل أو امتناع عن فعل و من إبداع وابتكار واختراع.

من المعلوم بأن العقل، هو عضو مؤثر في الإنسان، بل هو عضو خلاق ومبتكر إلا أنه بالوقت نفسه يتأثر بكل ما يحيط به وبكل ما يبطنه وبكل ما هو خارج عنه، سواء كان قريباً منه أم بعيداً عنه، من هنا تُلزم الضرورة ،(بأن يتم توفير الصحة

البيئية الكاملة التي يحييها هذا العضو النبيل، والتي نطلق عليها {بيئة العقل الصحية} والتي تشمل نواح عدة منها(النواحي المادية والمعنوية والروحية والجسدية، الداخلية منها والخارجية)، هذه المستلزمات التي تضعنا أمام موقف يريحنا، كي لا نغتصب للعقل حقه، ولا نحرمه المتاح ويأتي في مقدمة هذه المستلزمات:

- تسليح حامل العقل "الإنسان" بالعلم والمعرفة، لتنمية مداركه وقدراته و تأثيره في المجالات المنشودة وبخاصة المجتمع.

- إكساب الإنسان العاقل الخبرة والتجربة اللازمة، ليبقى الأداء العقلي متناسبا مع الفعاليات التي يواجهها الإنسان.

- وضع العقل في إطاره النوعي الذي يتجانس معه ويستوي وسويته، بغية تأمين التفاعل الكيميائي البناء، حينما تقتضي ذلك الضرورة الإبداعية ،لأن العقل لا يتجانس إلاّ مع القيم والمكونات التي ينتمي إليها، لأن زجه بين عوامل وخصائص غريبة عنه لابد يلفظها ويرفضها ويترفع عنها، خاصة وأن للعقل قراراته اليقينية القاسية ، إن قال فعلْ وإن فعل أنتج وإن أنتج جسد دون تراجع .

مؤشرات توصيف بيئة الابداع:

في ضوء ما تقدم يتبدى لنا بأن للإبداع بيئة داخلية تحيط به (وإذا أردنا توصيفها) لابد لنا من أن نشير إليها من خلال المؤشرات الآتية:

المؤشر الأول: موطن الإبداع.

إني أرى بأن الإبداع يقطن في سويداء العقل البشري وينهل منه، كون هذا العقل ملقى على عاتقه أمهات المهام الجسام المتجددة والعديدة، إنها مهام تسمى الإبداع، وبذلك (فهو يأخذ على عاتقه النسبة الأعلى والأسمى، مما يطرح على الكائن الحي العاقل في كل حركة وسكنة، وفي كل تفكير وإمعان وسبر وتحليل للوصول إلى النتائج الوليدة الأحدث والأفضل .

المؤشر الثاني: شيفرة بعض الكائنات الخلاقة.

ان جزءاً هاماً من حوافز الإبداع يكمن في الواقع، بما يتضمنه هذا الواقع من مكونات ومن كائنات حية عاقلة وغير عاقلة، تلك الكائنات التي تتسم بسمات هامة وملفته ، والجدير ذكره بأن صفة "غير عاقلة"، هي صفة أو تسمية غريبة أطلقها الإنسان عليها، وأقول ذلك لأن فكرة تسكنني وتحيرني و أعيشها باستمرار، وأعتقد بأن هذه الحيرة تعود لأسباب تتصل بعدم معرفتي كغيري للمجهول الذي يتعلق بتلك الكائنات الحية الخلاقة "غير العاقلة" ((والتي لازالت حبيسة هذه الصفة الملتصقة بها حتى الآن، بسبب عدم وصول العقل البشري إلى معرفة الحقائق والمعطيات حولها، وأعتقد بأنه على الإنسان أن يعترف، بأن هذه المسألة تعتبر من المسائل المهمة من بين آلاف المسائل التي لازالت شائكة ومعقدة، والتي يجب إلقاء عبء تفسيرها وحل شيفرتها على عاتق العقول المبدعة للأجيال القادمة، المعنية بفك رموز هذه الشيفرة .

إن الذي أقصده بالكائنات الحية الخلاقة المنتجة، والتي وصَف إنتاجها بأنه جاء نتيجة حالة طبيعية غريزية، أعتبره توصيفا جانب الحقيقة ،لأنه أطلق عليه بسبب عجزنا من الوصول إلى حل حقيقة تلك الشيفرة و معرفة حقيقة تلك اللغة التي تستخدمها تلك الكائنات التي أختار منها مجتمعي { النحل ، والنمل} من هنا جاء توصيفي للواقع، حين اعتبرته سبباً و جزءاً لا يتجزأ من بيئة الإبداع الخلاقة.

المؤشر الثالث: مناهل الإبداع.

إن عظمة العقل تكمن في قدراته غير المحدودة ومدراريته المعهودة، والتي حين تطلبها تجدها ،هذه الغزارة التي تعطيك بقدر ما تأخذ منها ، لأن العطاء العقلي مطلق والوصول إلى طاقته المطلقة ضرب من المستحيل ، ولكننا نستطيع أن نتخيل تخيلا منطقيا دقيقا وأن نفكر تفكيرا تحليليا و موضوعيا إلى حد ما في هذا الأمر، ربما قد يوصلنا إلى تلك النتائج التي نقبلها وقد نحبها ونقنع بها ونقول بهذه الطريقة، لنجد أنفسنا نلتمس للإبداع ومصدره مخرجا نراه يتمثل في {مناهل خمسة

obeikandi.com

ينهل منها، بقدر متناغم متناسق} ليحقق من خلال ذلك نتائج مفيدة لم تكن موجودة من قبل هذه المناهل التي تقترب من قناعاتنا وأجدها تتمثل في :

{ الخيال - الواقع - التفكير - الذكاء - الحاجة }

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه ويلح علينا لنعرف إلى ماذا يستند الإبداع، وعلى ماذا يتغذى إن صح التعبير؟؟ ليستمر نموه وسموه وآليته بالحالة التي وصفها و قدرها العلماء، أعطيت هذه المكانة، عندها نستطيع أن نعي وندرك أكثر قيمة القيم التي يجسدها العقل بقدراته الخلاقة غير المحدودة، والتي تجعل عطاءاته مدرارة" حيث تطلبها فتجدها" من هنا نفسر الإلحاح المستمر الذي لا يتزحزح من ذهننا، والذي يجعلنا ملزمين إن أردنا أن نعي أكثر ماهي الخصائص التي يجب الوقوف عندها طويلا للإمعان بها وسبرها وتحليلها، هذه الخصائص السامية ، فإننا لابد وأن نجدها في.

[الخيال - التفكير - الذكاء – الواقع – الحاجة]

المؤشر الرابع: معطيات متصورة.

نستنتج مما تقدم أيضاً بأن هذه السمات تنبهنا إلى معطيات متصورة حول العقل والإبداع، هذا التصور الذي يتبلور أكثر في خيالنا، من خلال ما نلمسه من معطيات نادرة، وما تعكسه أمامنا نتائج بحوثنا وعجزنا في الوصول إلى الأجوبة المقنعة والمشبعة والهامة، التي تخطر على بالنا و تتبادر إلى أذهاننا بقصد أو بالفطرة، هذه المعطيات التي قد تمثلها التصورات التالية :

- **التصور الأول**: إن للإبداع حاضن ومركز ومنبع أساسي هو العقل.

- **التصور الثاني**: إن الإبداع هو نتيجة لتفاعل ذهني كيميائي يقوم به العقل وفريقه المتمثل في (المخ - الدماغ – العقل).

- **التصور الثالث**: إن العقل يضع ويوظف القدرات النفسية والجسمية للإنسان في خدمة فعالياته حين تحل الولادة الإبداعية.

المؤشر الخامس: عوامل التأثير والتأثر.

أرى من الضروري على من يلج هذا المضمار في التفكير والسبر والتحليل أن يبحث بعمق عن القواسم المشتركة، بين العوامل التي يؤثر بها الإبداع وتؤثر به، دون أن يلجا إلى التفصيل بقصد التفصيل لا التجديد، والذي لا يفضي في النهاية إلى فائدة علمية إبداعية ترجى، كونه لا يتعدى المراوحة في المكان.

لأن التحليل أو التمسك بالتحليل لكل عامل من العوامل المؤثرة في الإبداع وبشكل مستقل عن الآخر ، والتوغل في تفاصيلها، قد يفقد هذه العوامل وهذا التحليل خاصية هامة هي جوهريته، قد يأتي في مقدمتها المس بجسور التفاعل أو التلاقي والتحالف بين خواص عوامل الإبداع .

لذلك علينا (أن نوجه البحث) بداية إلى معرفة كيفية إدراك واستيعاب الحالة غير الملموسة التي يتم فيها التمازج والتكامل والتعاون المبتكر بين هذه العوامل، وبهذه الآلية التي ينظمها وينسقها العقل مع كل ما في حوزته وبكل ما هو خارج عن هذه الحوزة) .

obeikandl.com